المحاضرة السابعة

تنظيم المجتمع في المدينة المنورة

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر من مكة المكرمة بعد أن اضطرته قريش إلى الهجرة إلى المدينة المنورة (طبعاً هناك أحداث صاحبت هذه الهجرة) ولم تأتي الهجرة بدونما جهد وعمل دؤوب ليل نهار من النبي عليه الصلاة والسلام ، إنما كانت الهجرة تتويج كبير لعمل قام به النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة ، من ضمن ذلك أن هيئ المجتمع المسلم في المدينة المنورة بحيث يكون هناك مجتمع مسلم في المدينة المنورة ، واجتهد عليه الصلاة والسلام في إيجاد اركان الدولة .

أي دولة في الدنيا تقوم على ثلاثة أركان :

- ❖ الركن الأول : لابد من وجود وطن تقام عليه الدولة .
- ❖ الركن الثاني : لابد من وجود مجتمع تقام فيهم الدولة .
- ❖ الركن الثالث : لابد من سلطة تمارس أعمال الدولة .

لم تكن هذه موجودة في مكة فالنبي سعى إلى إيجاد هذه الأركان في المدينة المنورة ، فنتيجة بيعة العقبة الأولى والثانية تكون المجتمع المسلم ونواة المجتمع المسلم في المدينة المنورة شيئا فشيئاً حتى أصبح مجتماً سياسياً .

الذين بايعوا النبي عليه أفضل الصلاة والسلام في بيعة العقبة الثانية بايعوه على الإسلام والإيمان والنصرة ان هو قدم إليهم في المدينة المنورة ، وهذا يعني وجود مجتمع ووجود وطن .

إن الأنصار قد التزموا للنبي بالحماية ، والحماية تعني وجود وطن .

فتأسس في المدينة وطن وتأسس مجتمع .. مالذي بقي من أركان الدولة ؟!!

بقيت السلطة ، فهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بعد أن تكونت أركان الدولة .

وصول النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة :

النبي عليه الصلاة والسلام ما إن وطئت قدماه الشريفتان ثرى المدينة المنورة حتى استقبلته المدينة بما تعرفون من الترحاب والأهازيج .

الأوس والخزرج والمهاجرون الذين هاجروا إلى المدينة المنورة ويهود المدينة أيضاً ، كلهم كانوا في استقبال النبي عليه الصلاة والسلام .

أما المسلمون فرغبة وطمعا وحبا في لقاء النبي عليه الصلاة والسلام وأما اليهود فترقبا وخبثا ومكراً وتحسساً هل هذا الذي ظهر في مكة والذي جاء الى المدينة هو النبي الذي نعرفه من خلال أوصافه في التوراة والإنجيل أم لا !! ..

ويريدون أن يمكروا به ..

الحاصل أنه كانت هناك جمهرة في المدينة المنورة لاستقبال النبي عليه الصلاة والسلام .

هذا التجمهر للنبي كيف نفسره سياسياً ؟!

انتبهوا ربما يأتي السؤال ..

لا يمر هذا الحدث دون أن أحلله .. كيف أفسر هذا الحدث نظرة سياسية ؟!

ماذا يعني هذا الجمهر ؟

هذا التجمهر يعني الولاء والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم

النبي عليه الصلاة والسلام ما ان وطئت قدماه ثرى المدينة المنورة حتى قام بأعمال معينه تتطلبها الدولة .

قام النبي بأعمال عند وصوله إلى المدينة المنورة لتنظيم المجتمع النبوي ولهيكلة الدولة وبسط الأمن تمثلت في الآتي :

١- بناء المسجد النبوي الشريف .
٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . المهاجرين الذين هاجروا من المدينة المنورة ليس لهم مسكن ولا مأوى ولا مأكل ولا مشرب ولا مال ،هكذا جاؤوا الى الله والى رسوله ،آخى النبي بينهم (سنتحدث عن المشكلة لاحقاً)
٣- صنع وثيقة المدينة (الدستور الإسلامي) .

أولاً / بناء المسجد :

أول ما جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة لايوجد مقر للدولة ، لم يأتي إلى دولة جاهزة وينزل في أماكن الدولة .

لا لم تكن هناك دولة وليس هناك مقر للدولة ، ليس هناك دور للعبادة ، فأول ما بدأ به النبي عليه الصلاة والسلام بدأ ببناء المسجد النبوي الشريف .

دعونا نتساءل .. لماذا بدأ النبي بالبناء ؟!!

عملية البناء ، كون النبي بدأ يبني ،، كيف أفسره سياسياً ؟!

- بناء المسجد يدل على الإستقرار (لما لم يبني في مكة ؟! لأنه لم يكن مستقراً .. ولكن حينا أتى الى المدينة هذا دلالة على الاستقرار وبناء الدولة ودلالة على تأسيس الدولة وعلى قيام الدولة)
- بناء المسجد يدل على اعلان الدولة في المدينة المنورة (ويدل على انتشار الاسلام في المدينة المنورة)
- المسجد هو دار حياة المسلم .
- المسجد هو مقر للعبادة وللدولة (مقر لآداء شعائر الله ، ولاعلان وتبليغ واخبار صحابة النبي عليه الصلاة والسلام ما نزل إليهم من أحكام الاسلام ، اجتماع النبي بصحابته في المسجد ، فالمسجد هو بمثابة مقر الدولة في المدينة المنورة ، كان النبي عليه الصلاة والسلام يدير الدولة من المسجد .. كان المسجد بمثابة وزارة الدفاع ، وزارة الإعلام ، وزارة الشؤون الإجتماعية .. هو مقر للدولة بكامل هيئتها) .
- المسجد مكان للتعليم وللتوجيه (وكان للضيافة ، النبي لم يكن لديه فنادق ولا شقق مفروشة .. فالوفود التي كانت تفد إلى النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يسكنون في المسجد)

((بالإجمال فإن بناء المسجد يدلنا على استقرار الدولة وعلى ثباتها وعلى نمو الإسلام في المدينة المنورة وهو ذو وظائف متعددة في المدينة المنورة بناه النبي عليه الصلاة والسلام وشارك فيه بذاته ، بناه بيده الشريفة وشارك في بناء المسجد مع الأنصار ومع المهاجرين ومع بقية الصحابة))

- هو بمثابة كل وزارات الدولة

ثانياً / المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

في الواقع صادفت النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة مشكلتان أساسيتان : مشكلة اجتماعية ، ومشكلة سياسية ..

حينما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة لم تكن جاهزة لكل شيء ، لابد من شوائب ولابد من منغصات ،، فالنبي عليه الصلاة والسلام صادفته في المدينة مشكلتان أساسيتان كبيرتان :

المشكلة الأولى / المشكلة الاجتماعية : وجود المهاجرين من مكة بدون أكل او شراب أو مأوى .

المشكلة الثانية / المشكلة السياسية : وجود يهود في المدينة الذين هم على غير الملة ، وهم أعداء الرسالات والنبوات ، ويشكلون حوالي ثلث سكان المدينة .

هاتان المشكلتان تعيق مسيرة الدولة السياسية والإجتماعية ولابد من وجود حل لهاتين المشكلتين :

المشكلة الأولى : وهي المشكلة المتمثلة في وجود المهاجرين في المدينة دون مأوى أو مأكل ...

عدد من المهاجرين إلى المدينة تركوا أهلهم وأموالهم في مكة وهاجروا إلى الله ورسوله .

- ليس لهم أموال
- ليست لهم أملاك في المدينة
- ليست لهم أعمال ينتفعون بها أو وظائف
- النبي ليس لديه ما يعطي هؤلاء
- الدولة ناشئة وليس لديها مقدرات مالية كي تعطيهم
- ليس بالإمكان إعادة هؤلاء إلى مكة وقد هاجروا الى الله ورسولة
- وليس بالإمكان إبقائهم على هذا الحال
- ماذا فعل بهم النبي صلى الله عليه وسلم ؟
- قال النبي لأصحابه " تآخوا في الله أخوين أخوين "
- آخى النبي بين المهاجرين والأنصار
- هذا العمل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية
- ولم يأتي عن طريق القمع والإلزام
- بل جاء عن طريق الرضا والقبول والتلذذ بإنقاذ دعوة النبي للأنصار
- كان لهذه المؤاخاة أثر نفسي بالغ على المهاجرين اذ تحول الوضع من حال إلى حال
- سكن الجميع ، أكل الجميع ، عمل الجميع ، وانسجم المجتمع في المدينة

شرح الدكتور :

وهي وجود المهاجرين الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تخفياً عن قريش ، تركوا أموالهم وتركوا نساءهم وأطفالهم وكل ما يملكون وهاجروا بدون مال ولا مؤونة ، هاجروا خفية وتسللا حتى هاجروا إلى الله وإلى رسوله ليس معهم شيء ولا يقصدون إلا الله ورسولة .. وصلوا إلى المدينة وهؤلاء لهم احتياجات ،، كل انسان منا له إحتياج فيحتاج مأكل ويحتاج مشرب ومسكن ومال وحركة ، هذا الشيء لم يكن موجود مع هؤلاء المهاجرين .. وأصبح المهاجرون يشكلون عقبة مابين المسيرة الإجتماعية والسياسية في المدينة المنورة لا لشيء إلا لكون الدولة لا تملك ماتعطيهم ولأنهم لا يملكون شيئاً .

فهذه مشكلة تزع النبي عليه الصلاة والسلام أن يرى صحابته هكذا بدون مأوى وبدون مأكل وبدون مشرب ، وهذا أيضاً يؤثر على نفسيات الصحابة وان كان لا يؤثر على عمق ايمانهم ، لكن لابد من إيجاد حل لهذه المعضلة ولهذه المشكلة.

النبي عليه الصلاة والسلام ليست لديه أموال ، خزينة الدولة صفر لا يوجد بها شيء ، لم يأتي معه مكة المكرمة بأي أموال ليعطي هؤلاء وليصرف عليهم وليسكنهم .. دولة ناشئة وليس لديها مقدرات مالية وليس لديها تعطيهم ، وليس بالإمكان أن يعيد النبي عليه الصلاة والسلام هؤلاء إلى مكة ، مستحيل أن

يعيدهم إلى الكفر الذي خرجوا منه وليس بالإمكان أن يبقيهم على هذا الحال السلبي .. فماذا فعل بهم النبي عليه الصلاة والسلام ؟!

النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى هذه القضية وهذه المشكلة وليست لديه حلول مادية ماذا فعل ؟

قال لأصحابه : تآخوا في الله أخوين أخوين ..

فآخى النبي عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار ، أنت يافلان أخو فلان ... استقبل الأنصار هذه المؤاخاة وهذا الندب النبوي الشريف وهذه الرغبة النبوية الشريفة ، استقبلها الأنصار بكل الرحب والسعة وبكل الحب وبكل التلذذ بتنفيذ دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، واستقبل هؤلاء الأنصار المهاجرين في بيوتهم وشاركوهم في بيوتهم وأموالهم ومزارعهم .

يأتي النصاري إلى المهاجر الذي جاء إليه ويقول : اانا عندي بيت أربع غرف خذ غرفتان وانا غرفتين ..

وآخر يقول لدي بيت دورين تريد الأول أو الثاني .. لدي مزرعة أقتسمها انا معك قسمين فأي قسم تريد .. لدي ٥٠ رأس من الغنم خذ ٢٥ وانا ٢٥ ..

كانت مؤاخاة حقيقية تلذذ بها الانصار ، لذلك أثنا ربنا جلا وعلا على الأنصار قائلاً : " يحبون من هاجر إليهم " صدق الله العظيم

فهذا العمل لن يتكرر في التاريخ ، لا يمكن أن يتكرر ، هذه المؤاخاة الحقيقية برغبة مطلقة بغير ما قمع وبغير ما سلطة قاهرة وبغير ما ضغط .. لا .. انما كانت مؤاخاة حقيقية يسودها الإطمئنان والرغبة والتلذذ بتنفيذ التوجه النبوي الكريم ..

لا اعتقد كما قلت لكم أن يتكرر مثل هذا العمل في التاريخ .. لا أعتقد حينما يهاجر أهل مدينة إلى مدينة أخرى في وقتنا الحاضر وفي العالم كله .. هل بالإمكان أن يتآخى هؤلاء واحدا واحداً !! .. حتى وان كانا من دين واحد ومن اتجاه واحد .. لا يمكن .. حتى مابين الأخوين الأشقاء قد لا يحصل مثل هذه الميزة التي قام بها الأنصار رضي الله عنهم جميعا ..

هذا العمل لم يأتي عن طريق الإلزام عن طريق القمع ، انما هي رغبة النبي صلى الله عليه وسلم

" تآخوا " قد لا يكون هذا الندب للوجوب انما للندب ، فتسابق الأنصار على أن ياخذ كل واحد منهم أخاً له من مكة المكرمة .

كان لهذه المؤاخاة أثر كبير في النفس ، في نفس المهاجرين ، انسان لا يوجد لديه سكن ولا مال ولا عمل ولا أكل ولا شرب ، أي انسان هذا الشيء سيؤثر عليه وعلى نفسيته وعقليته وعمله .

انت اذا كنت ليس على عمل ، كنت لو سمح الله مريض ، كنت تبحث عن عمل ، كنت لا تمارس أعمال اعتدت على أن تمارسها ، لابد أن تحس بالضيق النفسي لكن حينما تجد ما تريد تسر ..

هذا الذي حصل لصحابة النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة أن هذه المؤاخاة كان لها أثر بالغ على نفسية المهاجرين ، حيث تحول الوضع من حال إلى حال .

سكن الجميع ، عمل الجميع ، اكل الجميع ، وانسجم المجتمع في المدينة المنورة حتى انه كان لهذه المؤاخاة أثر اقتصادي واجتماعي ..

الصحابة بدأوا يعملون ، ماكان عنده مزرعة فوجده لديه مزرعة يعمل فيها ، ماكان عنده غنم فوجد عنده غنم يرعاها ، وهكذا ..

سيدنا عبدالرحمن بن عوف ذهب إلى السوق وتاجر وربح وتطورت ثروته المالية ، وهكذا تحول الصحابة الذين قدموا من مكة المكرمة بذلك الحال تحولوا إلى حال إيجابي بفضل أمر النبي عليه الصلاة والسلام وبفضل دعوة النبي عليه الصلاة والسلام إلى المؤاخاة .

طبعا المجتمع المدني انسجم أيضا أيما انسجام ، وانحلت المشكلة الاجتماعية التي صادفت النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة .

٢/ هناك مشكلة أخرى صادفة النبي عليه الصلاة والسلام كما قلنا ألا وهي المشكلة السياسية .

ماهي هذه المشكلة السياسية ياترى التي صادفت النبي عليه الصلاة والسلام ؟!

المشكلة السياسية هي وجود يهود في المدينة المنورة ، تقريباً ثلث سكان المدينة المنورة يهود !!

بنو قينقاع وبنو قريضة وبنو النضير وبعض من قبائل الأوس وبعض من قبائل الخزرج ،، يهود وهم على غير الملة وهم يشكلون ٣٠% تقريبا من سكان المدينة المنورة .

وبينهم وبين الأوس والخزرج صراع شديد وحروب وكان اليهود قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يتنبؤون ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ..

ويقولون للأوس والخزرج حيث هم معهم في صراع " إن نبياً قد اطلَّ زمانه "

من أين لهم هذه المعرفة ؟!

يعرفونها مما ورد في التوراة والإنجيل من ذكر لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، يقول الله تعالى " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " يعني يعرفون أن وقت ظهور النبي هو هذا الزمان ..

فبدأوا يستفتحون على أهل المدينة وعلى الأوس والخزرج ويقولون : " ان نبياً قد أطل زمانه ، فإذا ظهر هذا النبي اتبعناه ثم قتلناه وقتلناكم معه " .. انظروا كيف أعداء الرسالات وأعداء النبوات وأعداء السماء ، قتلة الأنبياء هؤلاء هم اليهود .

هؤلاء هم بهذه العقلية وبهذا الاتجاه وبهذا العداء للنبوات كانوا ثلث المدينة .

والنبي جاء وأصبح له في المدينة دولة ، لكن هذه المشكلة السياسية تبقى مؤثرة في مسيرة هذه الدولة السياسية وحتى الإجتماعية والتجارية والدينية ، فماذا يفعل بهم النبي عليه الصلاة والسلام ؟!

هؤلاء الذين هم أعداء للنبي ويتربصون ويتوعدون قبل أن يصل إلى المدينة وحتى قبل أن يبعث ، يتوعدون أهل المدينة والأوس والخزرج بأنهم سيقتلون النبي الذي سيظهر في هذا الزمان الذي أطل والذي قرب ظهورة .

هل يقاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام ؟ يدعوهم إلى الإسلام ؟ ماذا يصنع بهم ؟!

بالطبع النبي دعا جميع الناس إلى الإسلام لكن هؤلاء يهود معوجون لايقبلون الدين ولا يقبلون الإسلام .

ماذا يفعل بهم ؟! هل يقاتلهم في المدينة المنورة !!

لا ،، النبي لم يأتي بالقتال ولم يأتي ليقاتل الناس كي يسلموا .. أبداً .. إنما جاء النبي والإسلام بالنور وبالهدي الى الله وإلى شريعة الله وإلى نور الله ، لم يأتي ليسفك الدماء ، لم يأتي ليقاتل الناس كي يسلموا

فالله سبحانه وتعالى يقول " لا إكراه في الدين " لا يصح أن تقول للرجل يا تسلم يا أقتلك !

ليس من منهج الإسلام أبداً .. ولم يقاتل المسلمون قط من أجل أن اما تسلم أو أقتلك ..

لا .. انما كان المسلمون يقاتلون لنشر عدالة الله ، ولنشر حكم .

لم يكن أن يقاتل النبي يهود في المدينة والحالة هذه ، مازال النبي في بداية الدعوة ومازال في بداية تأسيس الدولة ومازال يتألف الناس بالإسلام وليس من المنهج الإسلامي أن يقاتل ..

ماذا يفعل بهؤلاء ؟!

ثلث سكان الدولة على غير الملة ، لاشك أنهم يشكلون عقبة في مسيرة الدولة السياسية ، على غير الملة ، لو كانوا يهود ويستمروا مع الدولة ليست مشكلة .. لكن أن يكونوا معارضين ومقاومين وأعداء ألداء للدولة هذا يؤثر على مسيرة الدولة السياسية في المدينة المنورة .

طبعا بمجرد وصول النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة وبمجرد هجرته من مكة إلى المدينة هذا هو تاريخ قيام الدولة الإسلامية .

فالنبي أصبح صاحب دولة وأمامه معضلة ومشكلة ،، كيف حل النبي عليه الصلاة والسلام هذه المشكلة ؟

طبعاً هناك مهاجرين جاءوا باعراف وتقاليد قبلية ، فيه الأوس والخزرج لهم أعراف وتقاليد قبليه ، فيه يهود أيضاً لهم أعراف دينية وقبلية ..

فالنبي صلى الله عليه وسلم عمل وثيقة دستورية في المدينة المنورة لتنظيم المجتمع سواء كان المجتمع المسلم او غير المسلم في المدينة المنورة وعلاقة كل بالنبي وبالدولة .

ثالثاً : وثيقة المدينة – الدستور الإسلامي :

أولاً :

تضمنت هذه الوثيقة حقوق وواجبات المسلمين في الدولة الإسلامية .

أبقت الوثيقة على بعض الأعراف التي كانت في الجاهلية ولها أثر إيجابي على المجتمع المسلم . (كانت هناك أعراف في الجاهلية ، وليست كل سلوك الناس خطأ ، هناك أعراف هناك تقاليد هناك قيم في الجاهلية لم يناقضها الإسلام بل أخذ بها وهذبها) .

المهاجرين على ما هم عليه في الجاهلية فيما يتعلق بالتعاون لفك الأسير وتحمل الدية (يعني كان في مكة القبيلة هي التي تتعاون فيما بينها لفك الأسير وتدفع الدية ، هذا أمر حسن وجيد ولا يتعارض مع الإسلام ولهذا النبي قال للمهاجرين في المدينة المنورة أن تبقوا على هذا الحال وهذه مكرمة من المكارم الإنسانية أخذ بها الإسلام وحض عليها)

وكذلك المسلمين في المدينة على ما هم عليه في هذا الجانب (أيضا الأوس والخزرج على ماهم عليه من فك الأسير والعاني وتحمل الديات مثلا : أحد من القبيلة قتل رجل بالخطأ .. إذن وجبت الدية ، تدفع الدية ،، لا تبقى الدية على الشخص نفسه قد لا يتحمل وتفوت الحقوق والواجبات ، العاقلة أو القبيلة الذين هم حوله يساعدونه ويتحملون الدية عنه ، وكذلك لو كان هناك أحد أسير تعمل العاقلة أو القبيلة على فك هذا الأسير جميعاً ، إذن هي كانت أعراف سائدة في الجاهلية حض عليها النبي كحقوق وواجبات في المدينة المنورة)

ويهود هذه الفئات مع المسلمينفيما يتعلق بتلك الواجبات (هناك يهود من الأوس وهناك يهود من الخزرج لكنهم على اليهودية ، إذن أنتم يايهود الأوس مع الأوس وأنتم يايهود الخزرج مع الخزرج في فك العاني وفي فك الأسير)

ثانياً :

حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة ، هناك من يهود الأوس والخزرج هؤلاء يتبعون قبائلهم في الحقوق والواجبات .

أمنياتي لكم / غزلان الحربي